عندها بشيء من التفصيل، تلك هي متانة التحالف الفلسطيني ــ الوطني اللبناني. فعلى صعيد الحرب والمعركة السياسية المرافقة، وعلى صعيد اتخاذ القرارات الصغيرة والكبيرة، ظهرت وحدة الموقف الفلسطيني ــ الوطني اللبناني وتعززت. ولهذه النتيجة أهمية تتجاوز ظروف الحالة التي نشأت فيها، ذلك أن تأثيرها لا بد أن يمتد لينسحب على مستقبل تطور العلاقات الفلسطينية ــ اللبنانية بكاملها. فاذا كانت ظروف الحرب الأهلية اللبنانية وظروف الصراع العربي ــ الاسرائيلي وملابسات المصالح العربية المتفقة أو المتضاربة في لبنان، وتشابك ذلك كله، قد خلقت أوضاعاً وجدت منظمة التحرير الفلسطينية نفسها فيها على خصومة مع بعض الأطراف اللبنانية، فان استمرار ونمو العلاقات وتوطدها مع أطراف الحركة الوطنية وظهور فعالية ذلك في مواجهة الاحتلال الاسرائيلي للبنان بالذات ثم ظهورها في التأثير على قرار المقاومة الفلسطينية بالخروج من بيروت لتجنيبها الدمار ولتجنيب لبنان مزيداً من التعقيدات والمشاكل، ستؤثر في تأكيد الصورة الايجابية للتعاون الفلسطيني اللبناني البناء، ومن شأنها أن تحفز أطرافاً لبنانية أخرى على التخلص من أسر السلبيات وعلى الانتباه الى المصالح العميقة التي تجمع الشعب اللبناني والشعب الفلسطيني، وأولها مصلحة الشعبين في مواجهة المخاطر الاسرائيلية متعددة الوجوه. وسينسحب أثر هذه النتيجة، أيضاً، ليعزز الاتجاه الفلسطيني الى توطيد التحالفات في المستقبل في لبنان والبلاد العربية الأخرى بحيث تتجه الى ممثلي القوى الشعبية، وليس بالضرورة الى الأنظمة، على قاعدة مواجهة اسرائيل والصهيونية.

وبكلمات أخرى، فان الخبرة المكتسبة من حرب لبنان تظهر أن التحالفات المرشحة للصمود في الظروف الصعبة، هي وحدها التحالفات التي تبنى على أرضية المصالح الثابتة والعميقة للقوى الشعبية وتنعقد مع ممثلي هذه القوى بالذات. أما التحالفات التي تعليها على هذا الجانب أو ذاك عوامل طارئة أو اندفاعات ديماغوجية أو اعتبارات براغماتية فليس من شأنها أن تسعف منظمة التحرير حين تواجه ساعات امتحانات عسيرة.

الحقائق والأوهام في الساحة العربية

يقابل ذلك، وكنتيجة لما تعليه المصالح وليس التصورات الواهمة، بروز هذا الحجم الكبير من القوى اللبنانية التي رحبت بالاجتياح الاسرائيلي، أو قبلته، أو غضت الطرف عنه. وبهذا، لا يشار لأوساط بعينها في حزب الكتائب وحده ولا للمجموعات التي يتزعمها سعد حداد وحدها، بل لأوساط عديدة أخرى تشمل الجبهة اللبنانية وآخرين ممن أملت عليهم نوازع متفاوتة التعاون مع اسرائيل وقوات غزوها أو حملتهم على الرضى بوجودها لانهم انطلقوا من أن الغزو الاسرائيلي هو وحده القادر على اخراج الفدائيين الفلسطينيين والقوات السورية من لبنان، وبالتالي على تحلل لبنان من الارتباط بالقضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرى وعلى استعادة كامل «حريته» في الارتباط بالغرب دون عوائق.

وبين الحروب العربية ــ الاسرائيلية العديدة كافة، تميزت هذه الحرب بوجود أطراف وشخصيات ذات وزن، تؤيد على نحو أو آخر الغزو الاسرائيلي لبلدها، بل بوجود من يعدّه من بينهم تحريراً للبنان وانقاذاً له، سواء تم هذا التأييد بسبب دور قوات الغزو في اجلاء قوات منظمة التحرير وقوات الردع العربية من لبنان أو لأن الغزو سيؤدي الى